

السّمات الدلالية في الشعر الصّوفي

- مقارنة أسلوبية لرأية الأمير عبد القادر أغوذجا -

Semantic features in Sufi poetry

-A stylistic approach in the poetry of Emir Abdelkader-

د. أحمد ملياني

a.meliani@univ-chlef.dz

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف - الجزائر

ملخص:

إن دراسة السّمات الدلالية في بناء نص ما- الشعري بخاصة- يتقاطع مع جميع السّمات الأسلوبية الأخرى، على أن الدراسات المعاصرة أفضت إلى أن النص كائنٌ كليٌّ لا يتجزأ إلا لمقتضيات الدراسة والبحث، وما دامت اللغة عنصراً مشتركاً يجمع بين هذه المستويات وينسق تعالقاتها، لذا فإن هذا التقسيم لا يضع حدوداً فاصلة بين مستوى وآخر، والذي نحن بصدد دراسته كفيل بإزالة هذه الحدود التي لم توضع إلا للوقوف على جوانبه الجمالية والفنية من خلال الاعتماد على مبدأ الحقل الدلالية، التي تتوافق مع الدراسة الأسلوبية في نظرتها إلى الدلالة، بما تسهم به في الكشف عن طبيعة الألفاظ التي تشيع عند الشاعر والدلالات التي تقتزن بها بغية الإفضاء إلى جوهر المعنى.

إنّ هذه الورقة البحثية؛ وفي نزعها للتطبيق تعدّ مسحاً تحليلياً وبحثاً في الدلالة من خلال دراسة السّمات الدلالية المشكّلة لرأية الأمير عبد القادر الجزائري، التي طبعت الشعر الصوفي لديه، سواء على مستوى التشكيل أو القيم التأويلية.

الكلمات المفتاحية: الدلالة، الأسلوبية، التصوّف، الشعر، النّقد.

Abstract:

The study of semantic features in constructing a text - poetic in particular - intersects with all other stylistic features, yet contemporary studies have resulted in the text being a whole and indivisible object except for the requirements of study and research, as long as language is a common element

that unites these levels and coordinates their relationships Therefore, this division does not set dividing boundaries between one level and another, and which we are about to study is sufficient to remove these boundaries that were not established except for its aesthetic and artistic aspects by relying on the principle of semantic fields, which are consistent with the stylistic study in its view of significance, With what it contributes to revealing the nature of the words that are common to the poet and the connotations that are associated with them in order to lead to the essence of the meaning.

This research paper is; In its removal of application, it is considered an analytical survey and a study of significance by studying the semantic features that form the visionary of Emir Abdelkader Al-Jazaery, and which imprinted his Sufi poetry, whether at the level of formation or interpretive values.

Keywords: Semantics, stylistics, mysticism, poetry, criticism.

01/- نظرية الحقول الدلالية:

يعرّف الحقل الدلالي بأنه مجموعة من الكلمات ترتبط دلالتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها، ولكي تفهم معنى كلمة يجب أن تفهم مجموعة الكلمات المتصلة بها دلالياً، فمعنى الكلمة هو محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في داخل الحقل المعجمي، "وهدف التحليل للحقول الدلالية هو جمع كل الكلمات التي تخص حقلاً معيناً، والكشف عن صلاتها الواحد منها بالآخر، وصلاتها بالمصطلح العام"⁽¹⁾.
وتقوم هذه النظرية على مبادئ عديدة حيث أنه:⁽²⁾

- لا بد أن تنتمي كل وحدة معجمية (كلمة) إلى حقل دلالي.
- لا يصح انتماء وحدة معجمية واحدة إلى أكثر من حقل دلالي.
- لا يمكن دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي.
- لا يمكن إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.

الأسس التي بنيت عليها النظرية:

1- الاستبدال: ويعني "أن ثمة مفردات يمكن أن تحل كل مفردة محل أختها في الاستعمال، أو في الدلالة كلفظة (وجل) ولفظة (خائف) ولفظة (متهيب من) فقد تعد هذه المفردات من المترادفات، ولكنها كلها تحت مفهوم الخشية والخوف"⁽³⁾.

⁽¹⁾ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط: 5، 1998، ص: 79، 80.

⁽²⁾ محمد سعد محمد، في علم الدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط: 1، 2002، ص: 47.

⁽³⁾ بالمر، علم الدلالة إطار جديد، ت: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط: 1، 1995، ص: 78.

2- التلاؤم: ويعني "أن علاقة المفردات بعضها مع بعض في كونها من باب واحد كما هو الحال في باب الألوان"⁽⁴⁾، فهي تقع تحت المصطلح العام (لون) وتضم ألفاظا مثل: أحمر، أزرق، أصفر، أخضر، أبيض...

3- التسلسل والترتيب: ويعني أن "الترتيب يكون بحسب القدم والأهمية والأولوية وذلك نحو أيام الأسبوع، أو المقاييس، أو الأوزان، أو الترتيب الألف بائي"⁽⁵⁾.

4- الاقتران: أي تقترن بعض مفردات الحقول الدلالية "بما يقرب دلالتها من الفهم أو يشرح فعلها، فاقتران (بعض) بالأسنان يميز لفظ (أسنان) من لفظ (أسنان المشط) و(أسنان المنشار) و(أسنان المسامير) لذلك فإنه لا تعرف الكلمة إلا عن طريق ما يصاحبها"⁽⁶⁾. وقد وسّع بعضهم مفهوم الحقل الدلالي ليشمل الأنواع التالية:⁽⁷⁾

- 1- الكلمات المترادفة والكلمات المتضادة.
- 2- الأوزان الاشتقاقية، وأطلق عليها اسم الحقول الدلالية الصرفية.
- 3- أجزاء الكلام وتصنيفاتها النحوية.
- 4- الحقول السنتجماية، وتشمل مجموعات الكلمات التي تترابط عن طريق الاستعمال ولكنها لا تقع أبدا في نفس الموقع النحوي، مثل: (كلب ونباح، فرس وصهيل، زهر وتفتح، طعام ويُقدم...).
- وتشعبت الحقول الدلالية لتشمل مفاهيم لغوية أوسع كالاقتراق والترادف والتضاد والحقول السنتجماية التي تشمل مجموعة الكلمات التي تترابط عن طريق الاستعمال، ولكنها لا تقع أبدا في نفس الموقع النحوي. ومن أهم مميزات نظرية الحقول الدلالية:⁽⁸⁾
- 1- الكشف عن العلاقات الدلالية، وأوجه الشبه والاختلاف بين الكلمات التي تنضوي تحت حقل معين، وبينها وبين المصطلح العام الذي يجمعها.
- 2- إن جميع الكلمات داخل الحقل الدلالي وتوزيعها يكشف عن الفجوات المعجمية التي توجد داخل الحقل.
- 3- إن هذا التحليل يمدنا بقائمة من الكلمات لكل موضوع على حدة، كما يمدنا بالفروق اللغوية الدقيقة لكل لفظ.

(4) السابق، ص: 80.

(5) رشيد عبد الرحمن العبيدي، مباحث في علم اللغة واللسانيات، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط: 1، 2002، ص: 191.

(6) نفسه، ص: 192.

(7) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 80، 81.

(8) رجب عبد الجواد، دراسات في الدلالة والمعجم، دار غريب، القاهرة، مصر، ص: 26.

كما يتم الاستعانة في هذه الدراسة الدلالية بنظرية التحليل التكويني، "ويبدأ هذا التحليل بعدما ينتهي تحديد الحقول الدلالية، وحشد الكلمات داخل كل حقل فلكي يتبين معنى كل كلمة، وعلاقة كل منها بالأخرى، تستخلص أهم الملامح التي تجمع كلمات الحقل من ناحية، وتميز بين أفرادها من ناحية أخرى" (9).

ولكن ليست الكلمات داخل الحقل الواحد ذات وضع متساو، فهناك كلمات أساسية وكلمات هامشية، والأساسية هي التي تتحكم في التقابلات الهامة في داخل الحقل، لذلك فقد وضع العلماء معايير مختلفة للتمييز بين النوعين ومنها: (10)

- الكلمة الأساسية تكون ذات وحدة معجمية واحدة.
- الكلمة الأساسية لا يتقيد مجال استخدامها بنوع محدد أو ضيق من الأشياء، فالشفرة في الاستعمال الحديث لا تطلق إلا وصفا للشعر والبشرة، ولذا لا يمكن أن تكون كلمة أساسية، أما الحمرة فيأتي استعمالها غير مقيد وغير محدد، لذا فهي كلمة أساسية.
- الكلمة الأساسية تكون ذات تميز وبرز بالنسبة لغيرها في استعمال ابن اللغة.
- الكلمة الأساسية لا يمكن التنبؤ بمعناها من معنى أجزائها بخلاف أزرق وأخضر مثلا.
- لا يكون معنى الكلمة الأساسية متضمنا في كلمة أخرى ما عدا الكلمة الأساسية التي تغطي مجموعة من المفردات، مثال الكلمة الأساسية: زجاجة، كوب،... لا تتضمنها كلمة أخرى سوى الكلمة الرئيسية (وعاء).
- الكلمات الأجنبية الحديثة الافتراض من الأغلب ألا تكون أساسية.
- الكلمات المشكوك فيها تعامل في التوزيع معاملة الكلمة الأساسية.

2/- الحقول الدلالية المكوّنة للقصيدة:

لا جرم في اعتبار اللغة الشعرية المكونة لنص ما، ما هي إلا نتاج التجربة الذاتية التي يعيشها الشاعر أو المبدع، فيلجأ إلى استعمال ألفاظ مخصوصة لا تخرج عن حدوده الجغرافية وسياقاتها الثقافية، وهذه الألفاظ تتشاكل لتكوّن دلالة عامة تحكم النص وتكشف أوجه التأويل فيه، والانصبام الأسلوبي الذي ينماز به الكاتب عن غيره في هذا العمل دون سواه.

وبالحديث عن القصيدة الرائية للأمير عبد القادر الجزائري، التي لم تخرج عن تجربته الصوفية، فإنه يعبر عنها من خلال عدّة حقول دلالية و من أهمها: حقل ألفاظ الحب، حقل الحيز المكاني وألفاظ الطبيعة، حقل ألفاظ الخمر، حقل أعضاء الإنسان وحقل ألفاظ الشجاعة والإقدام. و من خلال دراسة هذه الحقول يمكن الكشف عن أهم الدلالات المندسّة وراء هذا التوظيف.

(9) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 121.

(10) ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 96، 97.

أ/- حقل ألفاظ الحب:

تعدُّ ألفاظ الحب المادة الأساس في التشكيل الشعري لدى الصّوفية، في مخاطبتهم للذّات الإلهية، وإظهار المحبة والتّعلق وإبداء لواعج الشوق، ونلّف في هذه القصيدة لجوء الأمير عبد القادر إلى معجم الحب والذي كثر توظيفه في الشعر العربي بألفاظه ودلالاته المختلفة. ولعل سرّ هذا التوظيف المكثّف للألفاظ الدالة على المحبة هو لأنها "أكثر مواضيع الصّوفية شاعرية كإحساس وتعبير، فهي لا تعبّر عن حالة وجدٍ فحسب، بل هي طريقة وصول تلغي الوسائل الأخرى، كالمجاهدة والتوسّل والتوكّل والذكر، بنوع من التوجه المباشر، تكون عاقبته الحدس أو الإشراق، فالحبة تصوف موضوعاً وطريقاً وسلوكاً"⁽¹¹⁾.

جاءت ألفاظ الحب في قصيدة الأمير عبد القادر على النحو الآتي: صدود، جفوة، هجران، الهجر، الهم، الضنى، الفؤاد، متيم، الجوى، والها، أحباب، الضر، اشتياق، الحب، لقياك، وجد، عزيز، غيور، الطرف، قهى، حزن، الأحباب.

عادة ما خاطب الصوفيون بألفاظ الحب الذات العليا، وعبروا بها عن محبة العابد للمعبود، وكأثما علاقة العاشق بالمعشوق، غير أن الأمير عبد القادر في هذه القصيدة إنما يعبر عن حبه لشيخه محمد الفاسي، حتى يخيّل للقارئ أنّه يناجي الذات الإلهية، وهو بهذا يحدث انزياحاً دلالياً موهماً للمتلقي، ولعل ذلك لشدة حبه للشيخ وتعلّقه به وشوقه لوصاله، وما يفسّر هذا الالتباس الأبيات الأولى من القصيدة التي يصف في الشاعر معاناته من فراق محبوبه فيقول: ⁽¹²⁾

وولّت جيوش النحس ليس لها ذكرٌ	أمسعود جاء السّعد والخير واليسر
وهجران ساداتٍ فلا ذكرَ الهجر	ليالي صدودٍ وانقطاعٍ وجفوةٍ
ليالي لا نجم يضيء ولا بدر	فأيامها أضحت قتاماً ودجنةً
فلا التذلي جنب ولا التذلي ظهر	فراشي فيها حشوه الهم والضنى
ونار الجوى تشوي لما قد حوى صدر	ليالي أنادي والفؤاد متيم
أمولاي هذا الليل هل بعده فجر	أمولاي طال الهجر وانقطع الصبر
ألمّ به من بعد أحبابه الضر	أغث يا مغيث المستغيثين والهاً

⁽¹¹⁾ جورج كنورة، التصوف ولغة الرمز، مجلة الباحث، بيروت، لبنان، العدد: 17، 1981، ص: 106.

⁽¹²⁾ الأمير عبد القادر، الديوان، جمع و تحقيق: العربي دحو، منشورات ثالة، الجزائر، ط: 03، 2007، ص: 107.

أسائل كل الخلق هل من مخبر يحدّثني عنكم فينعشني الخبر

ثم يفصح بعد ذلك عن مقصوده، وعن الشخص الذي استثناه بالحبّة والذكر: (13)

وأعني به شيخ الأنام وشيخ من له عمة في عذبة وله الصدر
عياذي ملاذي عمدتي ثم عدّتي وكهفي إذا أبدى نواجذه الدهر
غيائي من أيدي العداة ومنقذي منيري مجيري عندما غمّني الغمر
ومحيي رفاقي بعد أن كنت رمة وأكسبني عمراً لعمري هو العمر
محمد الفاسي له من محمد صفّي الإله الحال والشيم الغر صدر

ففي هذه الأبيات استعمل الأمير الصيغ التالية: (عياذي، ملاذي، عمدتي، عدّتي، كهفي، غيائي، منقذي، منيري، مجيري، محيي) وهي عبارة عن أسماء مضافة إلى ياء المتكلم تظهر مدى تملّك الحب من قلب الأمير وارتباطه بشيخه ووفائه له، غير أنه يهوّل من حجم هذا الحب حين يصف الشيخ بمحيي رفاقه، ولعل مقصده كان يبعث الحياة فيه بالعلم والمعرفة وهذا لأن التعبير عن الحب ومتعلقاته متصل بحال مغايرة للحب المألوف.

ب/- حقل الحيز المكاني وألفاظ الطبيعة:

لقد كان توظيف الأمير عبد القادر لمعجم المكان توظيفاً جليّاً، من خلال الألفاظ التي دلّت على الحيز المكاني، وأعانت على تشكيل ملامح القصيدة لديه، وتوضيح الرؤية الصوفية وإعطائها جانباً من الحيوية والجمال من خلال ألفاظ الطبيعة من جمادٍ وحي، ولعلّ ذلك عائدٌ إلى مخالطة الشاعر للطبيعة بين بداوةٍ وتمدّن. جاءت ألفاظ حقل الحيز المكاني والطبيعة متنوعة وهي كالآتي: سهل، وعمر، رحل البيت المعظم، بطاح، كهف، الروض، بحر، الندى، العطر، حب المزن، الجوّ، مصر، قطر مكة، الثمر، فرات، جنان، فردوس، وكر، النسيم، الصخر، غزلان، الأرض، غيم.

يبدأ الأمير توصيفه للمكان في مستهل قصيدته في معرض حديثه عن رحلته لملاقاة شيخه، فيقول: (14)

فشمرت عن ذيلي الإطار وطار بي جناح اشتياقي ليس يخشى له كسر

(13) الأمير عبد القادر، الديوان، ص: 107، 108.

(14) نفسه، ص: 107.

وما بعدت عن ذا الحب تامةً ولم يثنه سهل هناك ولا عر
إلى أن أنخنا بالبطاح ركابنا وحطت بها رحلي وتم لها البشر
بطاح بها البيت المعظم قبله فلا فخر إلا فوقه ذلك الفخر
بطاح بها الصيد الحلال محرم ومن حلها حاشاه يقي له وزر
أتاني مربي العارفين بنفسه ولا عجب فالشأن أضحي له أمر
وقال فإني منذ أعداد حجة منتظر لقياك يا أيها البدر

يصير الأمير في هذه الأبيات شوقه جناحا لبلوغ مراده، وكأن به الطير المغترب عن أرضه وخلاته يتعجل اللقاء. فيعمد الأمير إلى وصف البطاح التي بها البيت الحرام، وعظمة المكان بشيء من التصوير الجمالي الذي يفضي رونقا خاصا ومشهدية تصويرية في القصيدة.

كما أن للمتصوفة اهتماما كبيرا بالمكان ورمزيته، فرحلة الأمير ومشقتها ليست إلا تلك المجاهدات والمساعي، وما البيت الذي بالبطاح إلا القلب الذي في الصدر، يقول ابن عربي: (15)

يا أيها البيت العتيق تعالى نور لكم بقلوبنا يتلالا
أشكو إليك مفاوزا قد جبتها أرسلت فيها أدمعي إرسالا

أما عن مظاهر الطبيعة في القصيدة، فهي أكثر الأشياء التي يرتبط الإنسان بها، فهي محيطة به في الحلال والترحال، فلا غرو أن تكون وحيا للشاعر، فأثر الطبيعة على الأمير ظاهر، خاصة ما تعلق بالبادية منها، فقد كانت موضوعا لأشهر قصائده التي كان مطلعها: (16)

يا عاذرا لا مرئ قد هام في الحضر وعاذلا لمحب البدو و القفر
لا تذمن بيوتا خف حملها وتدحن بيوت الطين والحجر
لو كنت تعلم ما في البداوة تعذرني لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر

(15) ابن عربي، ترجمان الأشواق، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط: 01، 2005، ص: 137.

(16) الأمير عبد القادر، الديوان، ص: 50.

ج/- حقل ألفاظ الخمر:

يعدّ موضوع الخمرة والسُّكْر من أكثر مواضيع المتصوّفة حضوراً في شعرهم، إذ من المعروف في الحق الدلالي أن الخمرة هي ذلك الشراب المحرّم ولكن المتصوّفة يذهبون بها مذهبا آخر، فهي عندهم كحال التصوّف "فكل منهما يستدعي ذهاب العقل وتراجع دوره، وما قد يتبع ذلك من ذهول وشطح"⁽¹⁷⁾. والخمر عند الصوفيّة إمكانية تعبيرية تخرج دلالتها عن الأصل الأول وتوضع في سياق التجربة الصوفية لتحمل دلالات أخرى لا تدل على الخمرة المحرّمة يقول الأمير عبد القادر في ذلك:⁽¹⁸⁾

ويشرب كأساً صرفة من مدامة فيا حبذا كأس ويا حبذا خمر

فلا غول فيها ولا عنها نزفة وليس لها بردٌ و ليس لها حر

فخمرة الأمير أشبه بخمرة الجنّة التي نفى القرآن الكريم عنها صفة الإسكار، فليس لها صفات الخمرة الدنيويّة، فلا يصاب شاربها بالسُّكر ولا بذهاب العقل فهي خمرة صافية حلال.

أما الألفاظ التي يتشكّل منها هذا الحقل الدلالي عند الأمير عبد القادر فتشمل ما يلي: كأس، مدامة، خمر، المنج، أصفر، قان، معتّقة، دن، عصر، إناء، العلم، شرب، اسقني، الخمر، هامت عقولهم، سُكر. فقد عبّر الأمير في قصيدته عن هذه الخمرة الإلهية، فذكر قدمها الذي يعود إلى ما قبل كسرى، وهي خمرة لا تُسُكر، فهي معتّقة ومصونة عن كل ما يسيء إليها، فلا ضمّها دنٌ ولا عابها زق، ولم تكن عرضة للتجارة، فيقول:⁽¹⁹⁾

معتّقة من قبل كسرى مصونةً وما ضمّها دن ولا نالها عصر

ولا شأنها زق ولا سار سائر بأجأها كلاً ولا نالها تجر

الخمر عند الأمير كذلك هي العلم، وهي مركز تدور حوله كل العلوم والمعارف، ويستقي منها العلم والجاهل:⁽²⁰⁾

هي العلم كلّ العلم و المركز الذي به كل علم كل حين له دور

(17) أماني سليمان داوود، الأسلوبية والصوفية، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط: 01، 2011، ص: 153.

(18) الأمير عبد القادر، الديوان، ص: 111.

(19) نفسه، ص: 111.

(20) نفسه، ص: 111.

فلا عالم إلا خير بشريها ولا جاهل إلا جهول به غر

وحين يصل الأمير إلى الحقائق الإلهية يعبر عن ذلك بالشرب الذي هو عنده مرادف للمعرفة، وسراً من الأسرار التي يعجز الملوك عن معرفته، لأن ما يملكونه من متاع الحياة الدنيا لا يعد شيئاً بالنظر إلى ما أصبح الأمير عبد القادر يملكه من معرفة الأسرار العلوية فيقول: (21)

وقد أنعم الوهاب فضلاً بشريها فله حمد دائم وله الشكر

فقل لملوك الأرض أنتم وشأنكم فقسمتكم ضيزى و قسمتنا كثر

خذ الدنيا والأخرى أبغيتها معا وهات لنا كأساً فهذا لنا وفر

إذا كانت الخمرة عند الأمير رمزا للمعرفة الإلهية، أي معرفة الحبيب واجب الوجود فإن المحبة غزل إلهي للذات الإلهية المطلقة. (22)

ثم يأتي الأمير إلى وصف حال السكارى المختمرين بخمرة الحب، فيجعل الشمس تحت أقدامهم دلالة على السيطرة والقوة، فهم ملوك الأرض لما بلغ بهم الشكر من منزلة وفضل وبلوغ، و ما البرق والرعد إلا علامات تلك المنزلة الرفيعة عند الصوفية ومقاماً عالياً من مقامات التجلي. يقول الأمير عبد القادر: (23)

وتاهوا فلم يدروا من التيه من هم وشمس الضحى من تحت أقدامهم غفر

وقالوا فمن يرجى من الكون غيرنا فنحن ملوك الأرض لا البيض والحممر

تميد بهم كاسٌ بها قد توهوا فليس لهم عرفٌ وليس لهم نكر

حيارى فلا يدرون أين توجهوا فليس لهم ذكرٌ وليس لهم فكر

فيطربهم برقٌ تألق بالحمى ويرقصهم رعدٌ بسلعٍ له أزر

ويسكرهم طيب النسيم إذا سرى تظن بهم سحرا وليس بهم سحر

(21) الأمير عبد القادر، الديوان ، ص:113.

(22) ينظر: بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر الشاعر الصوفي، دار النشر الإلكتروني، عين شمس، مصر، ص:78.

(23) الأمير عبد القادر، الديوان ، ص:112.

بدا جلياً تأثر الأمير عبد القادر في حديثه عن الخمر بالشعراء الصوفيين القدامى من خلال إطلاعه الكبير على أشعارهم، ومن ذلك قوله: (24)

فلو نظر الأملاك ختم إنائها تخلّوا عن الأملاك طوعاً ولا قهر

و هو في هذا البيت يتناصّ مع قول عمر بن الفارض: (25)

ولو نظر الندمان ختم إنائها لأسكرهم من دونها ذلك الختم

نجده يضمّن قصيدته بيتين من قصيدة أبي نواس فيقول: (26)

وقال اسقني خمرا و قل لي هي الخمر ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر

وصرّح بمن تهوى ودعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر

و يقول أبو نواس: (27)

ألا فاسقني خمرا و قل لي هي الخمر ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر

فبح باسم من أهوى و دعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر

د/- حقل ألفاظ أعضاء الإنسان:

لعلّ توظيف الصوفي لألفاظ دالة على أعضاء الإنسان تتعدى حدود الحضور المادي المحسوس، بل تتجاوزه إلى التجربة الروحانية، "وهكذا تنفي التجربة الصوفية كل ما هو أرضي وتأبى أن تنشغل به، لعل تفرّغها للحق، وانصرافها الكلي إليه يساندها في صعودها و معراجها الدائم" (28)، وهي بذلك لا تعدم إلا أن تكون دعامة تعبيرية؛ بغية تحقيق الوصل و المشاهدة.

ترد الألفاظ المتعلقة بأعضاء الإنسان في قصيدة الأمير عبد القادر وتختلف دلالاتها، بما يفسّر رؤيته الشخصية لأعضائه وجوارحه، كأطراف في تجربته الصوفية، ونذكر من ألفاظ هذا الحقل ما يلي: الصدر، أقدام، نواجذ، وجه، رسم، قدم، الكف، عقول، الأكباد، أحداق، قامة، الترائب، النحر، أعين.

(24) الأمير عبد القادر، الديوان، ص: 111.

(25) عمر بن الفارض، الديوان، شرح وتقديم: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002، ص: 180.

(26) الأمير عبد القادر، الديوان، ص: 111، 112.

(27) أبو نواس، الديوان، شرح وتحقيق: سليم خليل قهوجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، 2003، ص: 383.

(28) أماني سليمان داوود، الأسلوبية والصوفية، ص: 191.

وقد عمد الشاعر خلال ذكره لأعضاء الجسم أن تكون دالة على غير وظيفتها العضوية ويظهر هذا في توظيفه لكلمة (الكف) في قوله: (29)

و لا خسر في الدنيا لا هو خاسر سوى وآله و الكف عن كأسها صفر

دلّت كلمة الكفّ على خسران متعة الخمر التي لا يحويها كأسٌ و لا كفّ. وكثيرٌ من الألفاظ الدالة على أعضاء الإنسان جاءت في سياقات استعارية من مثل: نواجذ الدهر، وجه طليق، قدم صدقٍ... وذلك من أجل تكثيف المعنى و إعطائه رونقا خاصًا.

و/- حقل ألفاظ الشجاعة و الإقدام:

جاءت الألفاظ الدالة على الشجاعة والإقدام في قصيدة الأمير عبد القادر في معرض حديثه عن صفات وشيم أستاذه الصوفي (محمد الفاسي) فجاءت الصفات دالة على القوة والفروسية والشجاعة والإقدام، موظفا في هذا الحقل الألفاظ الآتية: النقع، الميدان، الجواد فارس، الحرب، مغبر، جيوش، جردبل، الصيد، ذخيرة، النصر، سيف، ذو الفقار، كرار فاتك، بذلنا نفوسنا، حصن.

ما يميّز ألفاظ هذا الحقل ورودها في شكل صور استعارية من مثل: جيوش نحس، حصن أمن، بذلنا نفوسنا، و هذا تعميقا للدلالة وتكثيفا للمعنى.

خاتمة:

تميّزت السمات الدلالية في القصيدة الرائية للأمير عبد القادر الجزائري من خلال الحقول الدلالية المكوّنة لها بالتجانس والتّماسك، فهي لم تخرج على ما تفترضه التجربة الصوفية، كما أنّها اتّسمت بالوحدة حيث دارت رحاها حول غرضٍ واحدٍ تمثّل في تعبير الشاعر عن تجربة الوجد الصوفي في إظهاره لعواطف الشوق والافتقاد إلى شيخه، فكان معجم الأمير معجمًا ثريًا، أسهم في إيضاح الصورة وتعميق الدلالة التي ارتبطت أساسا بشخصيته والسياقات الثقافية التي عايشها وكذا هيمنة المكان والشخوص على حياته وشعره.

قائمة المصادر و المراجع:

- 1- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط: 5، 1998.
- 2- أماني سليمان داوود، الأسلوبية والصوفية، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط: 01، 2011.
- 3- الأمير عبد القادر، الديوان، جمع و تحقيق: العربي دحو، منشورات ثالة، الجزائر، ط: 03، 2007.

(29) الأمير عبد القادر، الديوان ، ص: 111.

- 4- بالمر، علم الدلالة إطار جديد، ت: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط:1، 1995.
- 5- بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر الشاعر الصوفي، دار النشر الإلكتروني، عين شمس، مصر.
- 6- جورج كتورة، التصوف ولغة الرمز، مجلة الباحث، بيروت، لبنان، العدد:17، 1981.
- 7- رجب عبد الجواد، دراسات في الدلالة والمعجم، دار غريب، القاهرة، مصر.
- 8- رشيد عبد الرحمن العبيدي، مباحث في علم اللغة واللسانيات، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط:1، 2002.
- 9- ابن عربي، ترجمان الأشواق، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط:1، 2005.
- 10- عمر بن الفارض، الديوان، شرح وتقديم: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002.
- 11- محمد سعد محمد، في علم الدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط:1، 2002.
- 12- أبو نواس، الديوان، شرح وتحقيق: سليم خليل قهوجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، 2003.